

أضواء البيان

. @ 311

وقال القرطبي : قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ وَاءٍ } كيف على جهة الاخبار لا المعاينة . .
كما تقول : ألم تر كيف فعلت بفلان كذا ؟ .
وعلى كلام القرطبي يرد السؤال الأول ، إذا كان ذلك على جهة الإخبار ، فكيف يجعل الخبر
دليلاً على خبر آخر لا يدرك إلا بالسمع ؟ .

والجواب عن ذلك مجملًا مما تشير إليه آيات القرآن الكريم كالآتي : .
أولاً : أن تساؤل ابن كثير هل يتلقى ذلك من جهة السمع فقط ؟ أو هو من الأمور المدركة
بالحس ، لا محل له لأنه لا طريق إلا النقل فقط ، كما قال تعالى : { مَّا أَشْهَدَتْهُمْ
خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضًى وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ } أي آدم . فلم نعلم كيف
خلق ولا كيف سارت الروح في جسم جماد صلصال ، فتحول إلى جسم حساس نام ناطق . .
وأما قول القرطبي : إنه على جهة الإخبار لا المعاينة ، فهو الذي يشهد له القرآن . .
ويجب القرآن على السؤال الوارد عليه ، وذلك في قوله تعالى : { قُلْ أَعَزُّكُمْ
لِتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمٍ مَّيْنٍ وَتَجْعَلُونَ لَهُ
أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاثٍ مِنْ فَوْقِهَا
وَبَارِكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً
لِلنَّاسِ أَتْلَعِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا
وَلِلَّائِ لِرُضٍ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ
فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمٍ مَّيْنٍ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فَإِنَّ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ
صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } . .

لأن [] تعالى خاطب هنا الكفار قطعاً لقوله : { قُلْ أَعَزُّكُمْ لِكْفُرُونَ
بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمٍ مَّيْنٍ } . .
وخاطبهم بأمور مفصلة لم يشهدوها قطعاً من خلق الأرض في يومين ، ومن تقدير أقواتها في
أربعة أيام ومن استوائه إلى السماء وهي دخان . .
ومن قوله لها وللأرض : { ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً } . .
ومن قولهما : { أَتَيْنَا طَائِعِينَ } . .

